أبناء بابل

في بلاد سومر وأكاد سادت قوى الشر. والناس الذين يعيشون فيها تنطق أفواههم دوماً «نعم» أما بقلوبهم «لا» يكذبون يجورون على الضعيف ويحابون القوي. في بابل ساد الظلم والرشوة من يوم إلى يوم يسرق بعضهم بعضاً بلا انتهاء. الابن يلعن أباه في الشارع. ولا يطيع العبد سيده والعبدة لا تسمع لكلمات سيدتها. من كتابة آسرحدون ملك آشور

سمّى مواطنو بابل أنفسهم «أبناء بابل» «مار - بابيلي» أو «الأبناء البابليون» «مار - بابيلا» أو ببساطة «بابليون» «بابيلا» وبعد عام ٦٤٨ ق.م شاعت هذه التسمية عند جميع المواطنين الأحرار ساكني بلاد أكاد الداخلين في قوام بابل المدينة - الدولة. أما البابليون الساكنون في أوروك ونيبور ولم يكن لهم الحق بالجنسية البابلية سمّوا أنفسهم وفقاً لذلك أوروكيين ونيبوريين.

وكان الاسم هو العلامة المميزة للمواطن البابلي فهو يشمل الاسم الشخصي الذي يأخذه عند الولادة أو عند اكتساب حق المواطنة واسم أبيه «وهذا يعني كنية الأب» واسم الجد «يعني الاسم العائلي».

واعُتمِدَ هذا النظام منذ نهاية القرن السابع قبل الميلاد ارتباطاً مع تنظيم المجتمع البابلي على أسس ديمقراطية. وحتى هذا التاريخ استعمل المواطنون العاديون كنية الأب: حيث اكتفوا بالاسم الشخصي والعائلي، وعلى العكس من ذلك تسمى البابليون البارزون الذين يشغلون مراكز مهمة بالدولة فقط بالاسم الشخصي مع إضافة اللقب واسم الأب أحياناً ولكنهم لم يستخدموا الاسم العائلي أبداً ولذلك وبخاصة بقيت علائلات الملوك البابليين وأمراء بلاد أكاد غير معروفة.

ويُسمَع الاسم الكامل للمواطن البابلي مثلاً هكذا: تاب - تسلّي - مردوك ابن نابو - أبلو - أدين نجل سين - إيلي وهذا يعني حرفياً بالعربية[أ]: تاب - تسلّى - مردوك نابو - أبلو ابن إدين - سين ابن إيلي.

أ- طبعاً المؤلف يقول بالروسية - المترجم

واختلف الاسم الشخصي «ووفقاً لذلك كنية الأب» للبابلي تنميقاً وتنوعاً، فكل اسم عبارة عن جملة كاملة وهكذا اسم تاب - تسلّي - مردوك يعني «الظل السعيد للإله مردوك» والاسم نابو - ابلو - إدين: يعني «الإله نابو أعطى ابناً» أما الاسم سين - أيلي فيعني «الإله سين «أي القمر» ربي» وتضمنت الأسماء حتماً في تركيبها مركباً تيوفورنيا[أ] يكون اسم أحد الآلهة البابلية «وكثيراً ما يكون واحداً من السبعة العليا أو الإله المحلي للمدينة التي يكون البابلي من أصلها» أو معابدها وهكذا مثلاً الأسماء المؤنثة: إينا - ايساجي - لي - رامات «المحبوبة في معبد إيساجيله» ابنه إيتي - مردوك - بالات «تعيش سوية مع الإله مردوك» نجل الحداد. وبالطبع لم يكن استعمال مثل تلك الأسماء مريحاً جداً في الحياة اليومية واستخدمها البابليون على نحو واسع بالشكل المختصر. وهكذا تابي - تسلّى - مردوك سموه تابيي ونابو - آخي - بوليت ليبلوتوم ونابو - شوم - إيش - كونا، شوموي... الخ[ب].

وعند البابليين كما عند الألمان المعاصرين والإنكليز وبخاصة الأمريكان خلافاً للروس فالاسم المصغر عندهم ليس مبطلاً أو للدلالة على رفع الكلفة وإنما مستعمل في التداول الرسمي إلى جانب الاسم الكامل.

وإلى جانب الأشكال التامة والمختصرة كثيراً ما استخدمت الألقاب والأسماء المستعارة عند البابليين ومن دون أي مسحة من التباين أو عدم الكلفة مثلا: خاشدايا[ت] «خالدي» وارابي «اراب» وسوكايا «سوقي» «روبي» وشابي - كالبي «ذاك من فم الكلب» «يعني لقيط - أو الولد المتروك». أو السماء المؤنثة: لورياندا «تينة» ونوبتا «نحلة» وشينبابا «جميلة الأسنان».

وكان بين المواطنين البابليين كثير من غير البابليين وبشكل رئيس من الكلدانيين الذين أخذوا عند الولادة أسماءهم البلدية إلى جانب أسماء ثانية - بابلية مرتبطة بالآلهة.

فمثلاً في عائلة إكيبي الكلدانية الأصل كان الاسم الأول - اتي - مردوك - بالات هو إدين أما أبناؤه مردوك - ناصر - أيلي ونرجال - ايشوزيب على التوالي شيركو وشورو.

والنبي اليهودي دانيال الذي وجد نفسه في بابل سنة ٦٠٥ ق.م وأخذ هناك حق المواطنة اتخذ له اسماً بابلياً وهو بالات - شاري - اوتسور ««أحفظ حياة الملك» - العنصر المركب المرتبط بالله في التوراة محذوف»[ث].

أ- تيوفورني: كلمة يونانية مقطعها الأول Teo يعني الله= إله وبمجملها تعني مرتبط بالإله أو ذو مدلول إلهي - المترجم.

ب- مقارنة بالروس: إيفان - فانيا، الكساندر - سانيا أو شورا، آنا ٠ نيوشا. وعند الألمان: رودولف - رودي، فريديريك - فريتز، يوهانس، هانز، الفرد - فريدا وعند الإنكليز: ريتشارد - ديك، روبرت، بوب، كارولين - كيري.

ت- حسداي - المترجم

ث- عند التدقيق بهذا الكلام لم نعثر له على اصول ولم ندر من اين أتى المؤلف به. فمن المعروف أن دانيال «اسم عبري معناه «الله قضى» وحسب التقليد هو أحد الأنبياء الأربعة الكبار وكان من عائلة شريفة ويظن

وفيما يتعلق بالأسماء العائلية فكما عندنا كذلك كان كأسماء الأجداد «عا - ايلوتا - باني «عائلة باني» وسين - إيلي وبعل - أبلو - اوتسور... الخ وعند الروس إيفانوف وبيتروف ونيكولاييف».

أو الأصل السلالي «ميتسرايا - مصرية - سوخايا - سوخومي وعند الروس سويدي وتشيكي... الخ». أو الألقاب والوظائف «راب - باني كاهن الآلهة عشتار وعند الروس فويفودين «قائد جيش أو والي» وبوبوف «خوري» ودباكونوف «شماس» وبيسارييف «كاتبي».

وبالطبع لاحظ القارئ أن نظام التسمية البابلي يتطابق ذاتياً وبشكل مدهش مع النظام الروسي الراهن إلا أن الأسباب الخاصة لا تبعث على الاستغراب هنا. واستوعب اليونانيون التقليد البابلي ومنهم سوية مع المسيحية اقتبسه الروس.

وعلى هذا النحو نحن[أ] نستخدم حتى الآن نظام التسمية البابلي دون أي ريب بذلك.

وأعطي العبيد أسماء بابلية وكثيراً ما كانت تغير حسب رغبة السيد، فمثلاً كان عند نابو - تول - تابشي - ليشيرا ابن بعل - زير - ابن نجل كوزنيتسا جارية سموها تاباتوم «لطيفة» ووقع في وضع صعب فأعاد السيد تسميتها باسم شالام - دينيني «أي مانحتي السعادة» مؤملاً أن يصلح بتلك التعويذة من حاله ولكن ذلك لم يسعفه وباع الجارية، والشاري معروف عندنا وهو الغني إدين - مردوك الذي سماها من جديد باسمها القديم تاباتوم.[1]

وفي الوثائق يسمى العبد باسمه مع الإشارة إلى اسم سيده وزد على ذلك كثيراً ما حذفت كنية الأب والعائلة أحياناً وإليك هذه الأمثلة: سيليم - بعل عبد بعل - أوباليت ودايان - بعل - اوتسور عبد إيتي - مردوك - بالات نجل إكيبي ونرجال - ريتسوا عبد غيتي - مردوك - بالات ابن نابو - آخي - إدين نجل إكيبي.

وفي الطفولة تسربت الحياة إلى البابلي تحت رعاية والديه وقد تحدثنا عن المظهر الخارجي للبيوت أما زينتها الداخلية فتكونت من كمية ضئيلة من المفروشات وأنواع متعددة من الحصر والبسط والسجاد والستائر... الخ.

وكانت الموبيليا غالية وأكثر أنواعها شيوعاً هي الطاولات والكراسي والمضاجع ومساند الأرجل «الدكك».

أنه ولد في أورشليم وأتى بأمر نبوخذ نصر إلى بابل مع ثلاثة فتيان من الإشراف هم حننيا وميشائيل وعزريا سنة ٦٠٥ ق.م فتعلم لغة الكلدانيين، ورشح مع رفقائه الثلاثة للخدمة في القصر الملكي، فغير رئيس الخصيان أسماءهم فسمى دانيال بلطشاصر ورفقاءه شدرخ وميشخ وعبدنغو... الخ وهنا التباس بشخص آخر يحمل الاسم ذاته وعاش كما يقول بعض العلماء في عصر مبكر قبل صاحب السفر. وللتدقيق يمكن مراجعة الكتاب المقدس أو قاموس الكتاب المقدس الصفحة ٣٥٧ وما بعدها - المترجم.

أ- يقصد المؤلف الروس - المترجم

وعند شعوب الشرق القديم كما هو الآن كان متبعاً عند تناول الطعام الجلوس على الأرض على البسط أو السجاد والوسائد، وكان اليونان والرومان يضطجعون إلى المائدة على مضاجع الطعام ولكن البابليين يأكلون جلوساً إلى المائدة على الكراسي.

وحقيقية في بيوت الأغنياء كان الرجال يسمحون لأنفسهم أثناء تناول الطعام باستخدام المضاجع ولكن النساء دوماً يجلسن على المقاعد واضعين الدكك تحت أقدامهن.

وفي جنوب بلاد النهرين وجدت المدارس من قديم الأزل حيث تعلم الأولاد القراءة والكتابة والحساب والمعارف الأخرى الضرورية للحياة. وهناك وجهة نظر واسعة الانتشار بأن الأنظمة المعقدة للكتابة القديمة مثل الهيروغليفية المصرية أو السومرية - البابلية المسمارية كانت مفهومة لدى حلقة ضيقة فقط من خيرة الناس، ولكن في حقيقة الأمر كان كل الرجال تقريباً منذ الألف الثالثة قبل الميلاد في بلاد سومر يستطيعون القراءة والكتابة ويمكن أن يقال الشيء نفسه عند البابليين في عهد البلبلة. والكثرة الغالبة من وثائق العمل على الألواح الطينية «الرقم» مكتوبة لا من قبل كتاب - محترفين وإنما من قبل أشخاص عاديين من مختلف طبقات المجتمع وعند ذلك تصادف الأخطاء الإملائية على الأغلب فقط عند غير البابليين الذين لم تكن اللغة البابلية والكتابة المسمارية لغتهم وكتابتهم الأصلية، ولم تكن صعوبة الكتابة المسمارية أبداً عقبة بالنسبة لمستوى معرفة القراءة والكتابة العالي جداً.

وورث البابليون والآشوريون الكتابة المسمارية من السومريين وأخذت اسمها من الأشكال المميزة للإشارات التي تطبع بالضغط على الطين الطري بالقصبات المثلثة المقطع ولذلك تبدو كتراكيب أفقية وعمودية ومائلة من الأسافين «المسامير».

وهي تطورت من الكتابة التصويرية البدائية - البكتوغرافيا «الكتابة التصويرية».

ويمكن أن تقرأ كل إشارة مسمارية وفقاً لقرينتها مقطعاً صوتياً وكلمة كاملة «إما مقطعاً صوتياً وإما كلمة كاملة» وعلاوة على ذلك تتميز الكتابة المسمارية بتعدد الأصوات فكل إشارة لها عدة معان ومقاطع صوتية وصور[أ] مختلفة.

وعند الناس الذين يعرفون اللغة لم يكن اختيار قراءة هذه الإشارة أو تلك في سياق النص الراهن عملاً مميزاً فكل المعروف من إشارات الكتابة المسمارية هو نحو ٤٠٠ إشارة والأكثر استعمالاً منها فقط ٧٠-٨٠ إشارة.

أ- Ideography = Ugeozpaquuecku ألايديوغرافيا: الكتابة بالرموز الايديوغرافية أو اللوغوغرافية وهي صور أو «رموز» تستعمل في نظام كتابي ما «كالهيروغليفية والصينية والمسمارية موضوع البحث»وتمثل شيئاً أو فكرة لا كلمة خاصة بهذا الشيء أو تلك الفكرة - المترجم.

وإلى جانب الكتابة تعلم الأولاد الحساب في المدارس وعرف البابليون نظام العد الستيني والعشري، وأساس كلا النظامين هو الأرقام التي نستخدمها نحن الآن[أ] باسم الأرقام العربية، وهم أجادوا ليس فقط العمليات الحسابية الأساسية الأربع وإنما أتقنوا حساب النسب وقاسوا مساحات وحجوم الأشكال الهندسية، وعلاوة على ذلك تعلموا في المدارس مبادئ المعارف الحقوقية ومسك الملفات.

وكان من الضروري أن يكتب البابلي بصورة صحيحة وبحسب أصول اللغة وثائق العمل المتنوعة ويضع بدقة وباختصار جوهر عمليات الأعمال، وتدل الوثائق الكثيرة على أن أولاد بابل أتقنوا هذا الفن جيداً وعلى الأغلب صيغت الوثائق على شكل نماذج أنتجتها القرون العديدة من التطبيق وكتبها البابليون للذكرى، ونادراً جداً ما خرجوا على الصيغ المألوفة، ولأجل ذلك سمحوا بالتغيير اللامحدود بالإملاء ونظام ترتيب البنود «الفقرات» في العقود الحقوقية وهذه الأخيرة تشهد على أنهم لم يستخدموا القصاصات[ب] أو النماذج وإنما حفظوا تلك البنود في عقولهم. وكانوا يلجؤون إلى مساعدة الكتاب المحترفين فقط عند صياغة أكثر الوثائق صعوبة وأهمية مثل عقود شراء البيوت والأرض. وذلك ليس لأنهم لا يقدرون على كتابتها بأنفسهم ولكن بسبب الرغبة بأن تحمل الوثيقة طابع كتابة الكاتب.

وقدمت المدرسة الحد الأدنى من التعليم السهل المنال والضروري لكل مواطن وعند الرغبة، وتوفر وقت الفراغ يستطيع البابلي إكمال معارفه، فالعلم البابلي إلى جانب المصري احتل من حيث مستوى تطوره واحداً من أوائل الأماكن في العالم.

والعلماء البابليون الذين سماهم اليونان والرومان الكلدان تمتعوا بشهرة عالمية كسحرة وحكماء ومشعوذين وفاتنين ومنجمين وبشكل عام علماء بعلم الغيب، وبهذا المعنى استعملت كلمة «كلداني» في أوربا حتى القرن التاسع عشر الميلادي.

وتمتع علم الفلك البابلي بصورة لا تنفصم عن علم التنجيم بشهرة خاصة، وفي هذا المجال لم يكن للكلدانيين من مثيل. وكانت الزقورات عندهم كمراصد لمراقبة السماء ليلاً، وعرف المنجمون البابليون بشكل ممتاز جميع ما تراءى لهم بالعين المجردة، ودرسوا حركة الكواكب السماوية وميزوا بدقة بين النجوم والكواكب، ونحن[ت] نستخدم حتى الآن في الترجمات اليونانية - اللاتينية التسميات البابلية للكواكب الخمسة من المجموعة الشمسية المميزة من دون مساعدة التلسكوب «المرقاب» وهي: نابو - عطارد، عشتار، الزهرة، نرجال - المريخ، مردوك - المشتري، نيتورتا - زحل.

أ- يقصد الروس - المترجم

ب- القصاصات = Wnapzarku يستعين بها الطلاب على اجتياز الامتحانات بطريقة غير مشروعة - والمقصود هنا هو النماذج الجاهزة التي يستعين بها الكتاب وغيرهم في إعداد الوثائق روشيتات - المترجم

ت- يقصد الروس - المترجم

وكذلك التسمية البابلية الأصل لدائرة البروج «زودياك» الاثنا عشر وهي: الحمل - الثور - الجوزاء - السرطان - الأسد - العذراء - الميزان - العقرب - القوس - الجدي - الدلو - الحوت.

واكتشف في نينوى في مكتبة الملك آشور بانيبال نصان أوقعا الفلكيين المعاصرين بالدهشة وهي جداول أطوار كوكب الزهرة معدة على أساس المراقبة في بابل على مدى ٢١ عاماً من حكم الملك البابلي اميصادق «١٦٤٦-١٦٢٦ ق.م» وظهرت المعطيات دقيقة للغاية «خطأ في قياس قيم الزوايا لا يتجاوز الجزء من الثانية».

وبمساعدتها نجحوا في وضع ترتيب زمني مطلق «بصورة محسومة» لعهود بابل القديمة وسيبقى غامضاً كيف توصل المنجمون البابليون إلى هذه الدقة العالية للغاية. من دون الأدوات البصرية الحالية.

وضع الفلكيون البابليون التقويم القمري الذي يستخدمه المسلمون واليهود حتى اليوم، وفي أساس التقويم الأوربي المسيحي يقع التقويم المصري الشمسي تكميلاً، إلا أن تلك التقويمات مقتبسة من التقويم البابلي مثل الأيام السبعة في الأسبوع وتقسيم الساعة إلى ٦٠ دقيقة والدقيقة إلى ٦٠ ثانية. وإلى البابليين أيضاً يعود اختراع الساعات الشمسية والمائية، واثنان من عظماء الفلكيين البابليين وبخاصة أولئك الذين دخلوا في العلم العالمي الأول منهما هو: نابو - ريماني «نابوريانوس نحو ٥٠٠ ق.م» الذي عاش في العهد الذي يهمنا والثاني كيدينو (كيديناس حوالي ٣٨٠ ق.م) وبعد مئة عام تقريباً تمتعت المدارس الفلكية في بابل وأورك وسيبار في القرون السادس إلى الثالث قبل الميلاد بشهرة عالمية.

وإلى جانب ذلك ترك المنجمون البابليون علم التنجيم للإنسانية وهذا يعني فن التنبؤ عن المستقبل «القسمة والنصيب... الخ» بواسطة النجوم. ووضعوا خريطة البروج[أ].

وفي القرن العشرين يمكن أن نبتسم بتسامح لهذا السبب ولكن يجب أن لا ننسى أنه خلال القرون العديدة وفي كل العالم استوعبوا علم التنجيم والسحر بصورة جدية تماماً، وصارت ترجمات وإنشاء أعمال الحكماء الكلدانيين والمصريين في أساس العديد من الأبحاث اليونانية - الرومانية والعربية واليهودية والأوربية في هذه العلوم.

أ- اوروسكوب = ropockon = Horoscope = خريطة البروج - رسم للسماء كان المنجمون يستعملونه لكشف الطوالع - المترجم.

ووضع الرياضيون «علماء الرياضيات» البابليون ليس فقط أسس الهندسة والجبر التي تكلمنا عنها أعلاه وإنما يعود إليهم أيضاً تقسيم الدائرة إلى ٣٦٠ درجة والدرجة إلى ٦٠ دقيقة والدقيقة إلى ٦٠ ثانية. وحسبوا النسبة بين طول محيط الدائرة والقطر «العدد π» وحدودها مساوية للرقم ٣ بما يكفي تماماً للأغراض العملية.

ونظرية فيثاغورس المشهورة كانت معروفة عند الرياضيين البابليين منذ ما لا يقل عن ١٠٠٠ عام قبل فيثاغورس، وعرف البابليون المتواليات الحسابية والهندسية ومنظومة المعادلات الخطية ومعادلات الدرجة الثانية «التربيعية» والثالثة «التكعيبية» وأتقنوا الرفع إلى قوى واستخراج الجذور.

وكانت عندهم جداول للضرب وجداول القيم العكسية «العكوس» وحلوا الأرقام التخيلية المركبة «الأعداد الرمزية» التي جلبت للكلدانيين الشهرة مثل علم التنجيم. ووقعت منجزات علماء الرياضيات البابليين والمصريين في أساس الرياضيات اليونانية مؤسسة علم الرياضيات المعاصر.

وحقق الطب البابلي المرتبط بصورة لا تنفصم مع السحر واستحضار الجن نجاحات هائلة جداً، واعتبرت الأمراض وسوسات شياطين وتلخصت مهمة الطبيب في طرد الأخيرة من المريض بواسطة الرقى والتعاويذ والأدوية المختلفة. وترك البابليون بعدهم على الألواح الطينية مؤلفات لا يستهان بها في فن علاج الأمراض الباطنية والجراحة والصيدلة والفروع الأخرى للطب. وإذا تنازل المنهج النظري الطبي البابلي للمصري فقد ظل العمل العلاجي في بابل في مستوى عالٍ جداً، ويمكننا أن نحكم على ذلك ولو بالفقرات التالية من قوانين «شريعة» حمورابي التي ظلت نافذة حتى في بابل الحديثة.

§ «٢١٥ إذا أجرى طبيب لمواطن عملية بمبضع من البرونز وشفي المريض أو إذا أزال الغشاوة «البياض» بمبضع من البرونز من مواطن وشفيت عين المواطن فيمكن أن يأخذ «بمثابة أجر - أتعاب» ١٠ شاقل «٨٤.١٦ غ» من الفضة».

§ «٢١٨ إذا أجرى طبيب بمبضع من البرونز عملية لمواطن وتسبب بالوفاة للمواطن، أو إذا أزال الغشاوة «البياض» بمبضع من البرونز من مواطن وعطل عين المواطن فيجب قطع كف يده»

تلك الحقيقة أن هذه القوانين كانت قد سنت واستعملت منذ أكثر من ١٠٠٠ عام تشهد قبل كل شيء على التأهيل العالي للأطباء. فالموت أو العاهة عند العملية نتيجة لتهاون أو جهل الطبيب يُعد جريمة ويعاقب عليها كجريمة جنائية.

إلا أن خدمات الطبيب كانت تكلف كثيراً وكانت متاحة فقط للناس الأغنياء أما الناس البسطاء فيعالجون خلافاً لذلك «المرضى يحملون على الحصان لأنه ليس عندهم أطباء - كتب هيرودوت متعجباً من البابليين «بالمناسبة هو أخطأ فيما يتعلق بالأطباء» - يأتون إلى المريض ويتحدثون معه عن المرض وربما يكون القادم نفسه

قد عانى من مثل هذا المرض وهؤلاء القادمون[أ] يتباحثون مع المريض وينصحونه بالأدوية نفسها التي بفضلها تعافوا من مرض مماثل أو رأوا أن هذه الأدوية تشفي أمراضاً أخرى ويمنع عندهم المرور بصمت بالقرب من المريض دون السؤال عن المرض»[2].

وهذه بعض أهم منجزات العلم البابلي التي ورّثها للعالم المعاصر. ولم تكن هذه المعارف في حوزة نخبة ضيقة من الكهنة، ولكن الأمر ينحصر في أنه في بابل على العموم لم توجد كهانة محترفة، فالكاهن كان حاكماً وهذا يعني أنه شخص موظف منتخب، وكان لكل مواطن الحق في أن يشغل وظيفة الكاهن، ومن البدهي ليس كل مواطن توصل إلى الكهانة كان عنده التأهيل اللازم للقيام بواجباته، وأما الأخيرة «أي الواجبات» فكانت معقدة لدرجة كافية وتطلبت معرفة في مجالات التنجيم والأرقام الرمزية والطب وعلم الفضاء والمثيولوجيا[ب] والطقوس وقراءة الكف والتنبؤ وقراءة الحظ بواسطة الأكباد وتفسير الأحلام.. الخ.

وامتلك «الكلدانيون» العلماء جميع هذه المعارف وكانوا اختصاصيين في مجال الدين ولم يحتل الكلدانيون أي مواقع رسمية، ولكن كان الملوك والكهنة والهيئات الحاكمة الأخرى والوجهاء وكذلك الأشخاص غير الرسميين «العاديين» يلجؤون دوماً إلى خدماتهم. ومن دون مشاركتهم ونصائحهم لا يحل أي أمر مهم بدرجة ما حكومياً كان أو شخصياً[ت]. وهؤلاء كانوا المثقفين البابليين الفريدين من نوعهم. ويستطيع أي إنسان يتمتع بالإمكانات والمواهب والميول المناسبة أن ينضم إلى صفوفهم.

إلا أنه يجب الأخذ بالحسبان أن العمل الثقافي في القديم كان محتقراً ومعتبراً كالعمل الحرفي، والمثقف مواطن غير جدير بالاهتمام لأن المثقف لا يعمل لنفسه وإنما للآخرين[ث] ولذلك كان الدافع الذاتي «النزوع الشخصي» إلى المعارف غير

أ- يقصد زوار المريض - المترجم

ب- المثيولوجيا = علم الأساطير = وهي مجموعة الأساطير وبخاصة المتصلة منها بالآلهة وأنصاف الآلهة والأبطال الخرافيين عند شعب من الشعوب - المترجم.

ت- وكانت أنظمة أخرى مشابهة معروفة في روما حيث لم يكن العرافون والمتنبؤن المشهورون أيضاً كهنة وإنما اختصاصيون في مجال الدين يستفيد من خدماتهم الهيئات الحاكمة الرومانية بما فيهم الأحبار «الحبر = عضو مجلس الكهنة الأعلى في روما القديمة، وتعني كلمة حبر = رفيق الله - المترجم». وكهنة الآلهة.. وغيرهم والأشخاص غير الرسميين «العاديين».

ث- وهذا مثال على ما كتبه بهذا الصدد الكاتب اليوناني - الروماني بلوتارك في سيرة حياة بيركليس «قائد اثيني وحكيم بلغت أثينا في عهد أوجها في القرن الخامس قبل الميلاد. ومن أشهر أقواله «قد يمكن أن تسود إسبارطة كل اليونان ولكنها لن تسود اثينا - المترجم» «ما من شاب وموهوب نظر إلى زيوس - إله الحرب اليوناني - المترجم - في بيثينيا إلا وتمنى أن يصبح كفدياس أو نظر إلى هيرا في آرغوس - بوليكليت وعلى السواء اناكريونت أو فيلمون أو آركيل ولم يعجب بمؤلفاتهم «وإذا المختارات اثارت الإعجاب فعلى هذا يجب أن لا ننسى أن مؤلفيها يستحقون أن يقتدى بهم» وليس بمحض المصادفة سمى بلوتارك أشهر النحاتين

موجود في العالم القديم وصارت المعارف التي هي مصدر البقاء لا تعد بشيء سوى الازدراء، واشتغل بالعلوم فقط إما أولئك الذين لا يستطيعون العيش من دونها أو الحرفيون الذين يتاجرون بمعارفهم وفي كلا الحالين رجال عمل ومتحمسون، ولهذا السبب قدم العالم القديم للإنسانية علماء وكتاباً وشعراء ورسامين من الدرجة الأولى.

ويصف هيرودوت المظهر الخارجي للبابليين هكذا: «لباسهم كما يلي خيتون[أ] - قميص من الكتان يتدلى إلى القدمين وفوقه آخر من الصوف ثم يطرح عليه حلة /شملة/ بيضاء غير كبيرة ونعل بلدي عادي يشبه حذاء أهل بيوتيا[ب]. وكانت شعور رؤوسهم طويلة يلفونها بعصابة بيضاء ويدهن الجسم كله بالطيوب. ولكل منهم ختم وعصا مصنوعة جيداً، وتزين كل عصا من الأعلى بتفاحة اصطناعية أو وردة أو سوسنة أو بنسر أو أي شيء آخر وليس من المألوف عندهم أن تكون العصا من دون زينة»[3].

وتؤكد الرسوم والكتابات التذكارية الباقية كلمات هيرودوت وتسمح بتأكيدها، وهكذا إلى جانب العصائب لبس البابليون أغطية للرأس بشكل عمائم وقبعات مستديرة مدببة الرأس ولبسوا طوابع بشكل أسطوانات أو خواتم في الأصابع محفورة من الحجر دخلت في الموضة فقط منذ نهاية القرن السادس قبل الميلاد. وببصمات هذه الأختام صدق البابليون الوثائق على الألواح الطينية، وكان الشعر واللحى والشوارب محط اهتمام خاص من الرجال فكانوا يجعدونها على شكل حلقات صغيرة ويرتبونها بدقة.

ويختلف اللباس النسائي قليلاً عن الرجالي، وأحب البابليون الملابس الملونة وبخاصة الحمراء والزرقاء وكذلك الصفراء والخضراء والبنية والبرتقالية والسوداء والبيضاء. والأبازيم والأزرار والمشابك والبكل من الذهب والفضة والبرونز والنحاس والحديد والأحجار الكريمة وشبه الكريمة.

وتمتعت مواد التجميل والعطور والعقاقير بشعبية واسعة. وهكذا بدت ملابس العيد والخروج للبابليين الميسورين، أما الشعب البسيط فلبس لباساً وحيد اللون - أبيض وأسود وبنيّاً بشكل سترة قصيرة «تُنكْ»[ت].

والشعراء اليونانيين الذين شهرتهم تعتبر فضيحة لأي مواطن يحترم نفسه والذي يليق به أن يكون ملاكاً عقارياً أو جندياً شجاعاً. هكذا كان مفهوم الشرف في القديم.

أ- خيتون = Chiton = Xuton = ثوب بابلي وإغريقي للرجال والنساء - المترجم.

ب- بيوتيا - إحدى المقاطعات «الولايات» اليونانية - المترجم.

ت- تنك = Tunic= رداء إغريقي أو روماني أو بابلي طويل يشد بحزام حول الخصر، أو سترة ضيقة يرتديها الجنود او الشرطة... الخ أو تنورة فوقية قصيرة وهي المقصودة هنا - المترجم

ولعبت الموضة البابلية في القديم تقريباً الدور الذي تلعبه الموضة الباريسية في زمننا الحاضر، واقبل البابليون على الزواج في سن مبكرة، الشبان من ١٨-٢٠ سنة والفتيات من ١٤-١٦ سنة، ويتم الزواج باتفاق العريس ووالديه مع والدي العروس ولا يسألون البنت الموافقة على الزواج، فهذا السؤال يجيب عنه والدا العروس أو الأخوة، وموافقة الوالدين من ناحية العريس على الزواج غير مطلوبة شكلياً ولكن في الواقع الحالة على العكس تماماً من ذلك إذا كان الابن في التبعية المادية للأب أو الأم.

فنابو - آخي - إدين سولي نجل إكيبي زوّج ابنه إتي - مردوك - بالات بـ نوبتا ابنة إدين - مردوك نجل نور - سين برأيه الشخصي فهو وليس الابن الذي اتفق مع إدين - مردوك والد نوبتا على المهر.[4]

وتزوج بعل - كاتسير ابن نادينو نجل ساجيللي بالأرملة زوني التي كان لها من زوجها الأول ولد اسمه بعل - أوسات واتضح أن الزواج منقطع الذرية وأراد بعل - كاتسير أن يتبنى الربيب ولكن والده نادينو منعه مهدداً بحرمانه من الإرث وأجبر الابن على الخضوع لإرادة الوالد.[5]

ويتحول تدخل الأهل أحياناً إلى مأساة بالنسبة للأبناء فـ إدين - نابو - ابن شولي نجل ماغناتا والجارية نانا - بعل - أوتسري أحبا بعضهما بعضاً ولكن نوبتا ابنة إدين - مردوك نجل باباتو والدة إدين - نابو أحست أنها لا تريد زواجهما وسعت بدعم من الأخ الأصغر للتفريق بينهما وفي ٩ شباط من عام ٥٣٧ ق.م باعت نوبتا الجارية نانا - بعل - أوتسري مع طفلها المولود حديثاً أي حفيدها إلى عائلة الحدادين التي تدير داراً للدعارة فنقض إدين - نابو بيع حبيبته وبما أنه كان الابن الأكبر الوارث للأم رفض القاضي في ٩ تموز من عام ٥٣٧ ق.م الاعتراف بسند شراء الجارية دون موافقته الفعلية، فبذلت الأم والعم والأخ كل قواهم لكي يحطموا مقاومة إدين - نابو وأخيراً استطاعوا ذلك وفي ١٣ كانون الأول عام ٥٣٣ ق.م صادق إدين - نابو بحضور الشيوخ على سند الشراء.[6]

وهذه حالة أخرى مصورة بالوثائق لا يمكن قراءتها دون الضحك وهي تاريخ زواج ميتروفان[أ] بابلي: في عام ٥٣١ ق.م سكن في بابل الوجيه العظيم الشأن نارجيا، ولما كبر أولاده وبخاصة نابو - آخي - بوليت وحان وقت الزواج وجد له

أ- محافظ - المترجم -

الأب المهتم بالأمر عروساً من عائلة معتبرة فتاة اسمها كوبوتوم، وفي يوم من الأيام جاء نابو - آخي - بوليت إلى بيت العروس ليوقع عقد الزواج ولكن كما هو متبع منذ القديم عرج مسبقاً على أحد بيوت الدعارة لكي يحتفل بوداع الشباب، وهنا جمعه القدر مع الوجيه السيباري «نسبة إلى مدينة سيبار». أمورو - شار - أوتسور مع حبيبته تابلوت وأخيها الذين جاؤوا إلى العاصمة للترفيه.

ولما علم أن نابو - آخي - بوليت يستعد للزواج سقاه السيبارى الخمر جيداً وأرسله إلى العروس برفقة عبدته. ولكن متروفاننا لم يصل إلى كوبوتوم وإنما إلى تابلوت التي سئمت من السيبارى إلى درجة كبيرة، كما انه هو تاق بدوره إلى التخلص منها. وبطبيعة الحال لزم الأدب وكونه لا يسعه التمييز بين الأبيض والأسود وقع نابو - آخي - بوليت بشجاعة عقد الزواج وصار الزوج الشرعي لـ«تابلوت».

ومن السهل أن يتصور المرء غيظ نارجي لما عرف كيف وبمن تزوج ابنه المغفل ورفع دعوى في المحكمة الملكية على أمور - شارو - اوتسور لأنه على غير علم من نارجي زوج بالخدعة ابنه وانقلب الأمر على نحو سيئ على السيبارى فلكي يخلص نفسه جاء بعبده وشاهدي الزور المستأجرين وصرحوا في المحكمة عن براءة أمورو - شارو - اوتسور التامة من الزواج المشؤوم.

وانفعل القاضي من عقد الزواج وهدد تابلوت وأخيها بوضعهما في الاسترقاق إذا لم يتركا نابو - آخي - بوليت بسلام، وجلد العبد وغرم شاهدي الزور بعقوبة ضخمة وهي ١ تالنت «٣٠.٣ كغ» من الفضة.

وهذه النقود استدانها السيباري من إكيبي وبعد ذلك عاد إلى بيته في سيبار ولم يستطع أصحاب المصارف استرداد أموالهم منه وبدلاً من النقود ترك لهم للذكرى قرار القاضي والعقود.[7]

ولاقى هذا الأمر دوياً عاماً ويمكن أن لا يشك في أن نارجيا وابنه السيئ الحظ ومعهم إكيبي أيضًا الذي انطوت عليه الحيلة قد ظلوا طويلاً موضع سخرية للبابليين.

ومثل هذه «القصة» الحادثة المضحكة لا تحدث كثيراً حتى في زمن البلبلة في بابل.

وكان الزواج أحادياً عند البابليين إلا أن ذلك لم يمنع الزوج من الاحتفاظ بالمحظيات ولكن المرأة البابلية لم تكن أيضاً مخلوقاً وديعاً محبوساً في الحريم ذلك المسمى «المرأة الشرقية» وعلاوة على ذلك ليس في أي مكان في العالم القديم تمتعت فيه المرأة بمثل تلك الحرية كما في بابل الحديثة، وبهذا الخصوص يمكن أن يقارن مع البابليات في بعض النواحي فقط المصريات والإسبارطيات.

وكان الزواج هو حدث «واقعة» التحول في حياة النساء فمنذ تلك اللحظة تخرج وإلى الأبد من تحت سلطة الوالدين وتصبح مستقلة ولو ليس بمستوى الزوج. وكان أساس هذه الاستقلالية هو حق النساء بالملكية. فعندما تتزوج تتلقى من الوالدين أو الأخوة جهازاً يتوقف قوامه ومقداره على قدرة العائلة، ويعطون البابلي المتوسط

الدخل في الجهاز عادة قطعة أرض أو بيتاً في المدينة أو مالاً ومفروشات وأدوات منزلية وعبيداً من كل بد.

حفلة «وليمة صغيرة» رجالية

ويعتبر من غير اللائق أن لا يكون عند البابلية عبدة للخدمة الشخصية والحالة التالية نموذجية:

في عام ٤٩٣ ق.م تزوجت الفتاة لوريندا ابنة موشيزيب - بعل نجل عا - ايلوتا «عائلة» - باني بـ آخوشون ابن تابو - موشيتيك - أورّي نجل ناناخو، وحتى هذا الوقت توفي موشيزيب - بعل والد لوريندا تاركاً ثروة لأسرة كانت في وقت من الأوقات على حافة الإفلاس واستطاعت آمتي - سوتيتي والدة لوريندا أن تقدم لابنتها صداقاً جناحاً من بيت في المدينة مساحته ٢٤ متراً مربعاً مع مخزن للمحصولات الزراعية «عنبر» ومنين «١ كغ و١٠ غرامات» من الفضة و٤ لوازم برونزية للبيت وطرحتين وإكسوميدين[أ] و٤ سترات طويلة و٤ كراسي من خشب الصفصاف ولكنها لم تستطع إفراز عبيد لها. وبعد مضي عام ونصف العام على الزواج اشترى آخوشون للزوجة الفتية أمة مع ابنها لقاء منين من الفضة «في ذلك الوقت رخيص لحد ما» وهذه النقود أعطتها آمتي - سوتيتي لصهرها من صداق ابنتها وهكذا حرمت لوريندا من نقودها وامتلكت بدلاً من ذلك عبيداً للخدمة الشخصية.[8]

وعلاوة على الصداق كثيراً ما يكون في حوزة العروس ذخيرة «كنزية» من النقود والأمتعة الأخرى تتكون لديها على حساب الهدايا والتوصية وطرق أخرى. وكان الصداق والكنزية ملكاً خاصاً للزوجة لا يمكن للزوج بأي حال من الأحوال الحصول على أي حق فيها، وإذا ماتت الزوجة يرث الأولاد ممتلكاتها أو إذا لم يكن هناك أولاد فللوالدين والأخوة ولكن ليس للزوج.

فقد الشاب نابو - ابلو - إدين والدته باكراً وورث ليس فقط صداقها وإنما ممتلكات والديها اللذين كان هو حفيدهما الوحيد. إلا أن نابو - أبلو - إدين نفسه لم

أ- إكسوميدا = كلمة يونانية تعني: قميص قصير، سترة قصيرة من دون أكمام: اللباس العادي للناس العاملين في العالم القديم - المترجم.

يتمتع بصحة جيدة وعندما صار واضحاً أنه لن يبقى طويلاً في هذه الدنيا وضعت وصية صار بموجبها والده شمش - أبلو - اوتسور وارثاً له، ومن دون تلك الوصية لا يمكنه أن يأخذ شيئاً من ممتلكات زوجته وولده المتوفيين لأن ليس له فيها أي حقوق وتبقى الممتلكات استيراثاً[أ].(9)

ولا يتعلق تصرف الزوجة بالملكية الخاصة بها بالزوج من ناحية الملكية لأن السلطة الحقوقية للزوج عليها كانت غير واسعة «بحدود ضيقة» وكان للزوج الحق بمعاقبة الزوجة الخائنة بالموت ولكن هذا الحق لم يستخدمه أحد منذ زمن بعيد.

وهو يستطيع منحها الطلاق ولكن إذا كانت الزوجة غير مذنبة فيتوجب عليه أن يدفع لها تعويضاً لا يستهان به، وتمتعت الزوجة بالأهلية الكاملة في مجال الحق الشخصي فهي استطاعت الشراء والبيع والتأجير والاستئجار والإهداء ورهن وتسليف أي نوع من الأنواع المنقولة وغير المنقولة بما فيها الأرض والبيت والعبيد والأموال تكون ملكها.

وتمتعت بالحقوق الشخصية الكاملة في مجال الأعمال وكثير من البابليات استطعن ممارسة حقوقهن بالعمل.

استلف مار - بيتي - ادو - ناتانو ابن آدي وزوجته بوناتو ابنة خاريتسائي من مصرف إدين - مردوك قرضاً وفي ٤ آذار من عام ٥٥٣ ق.م اشترى وكيلهم المكلف صهر الصيرفي دايان - شوم - إدين ابن زيري نجل ناباي بيتاً لهم بسعر ١١.٥ من «٥.٨ كغ» من الفضة في مدينة بارسيب مساحته نحو ٩٤ متراً مربعاً وخلال عدة سنوات سددت قرينته الدين وراق لهما القرض المصرفي فقرر مار - بيتي - ادو - ناتانو بالطريقة نفسها أن يمتلك في بارسيب بيتاً آخر مساحته نحو ٩٦ متراً مربعاً وسعره ٩.٥من «٤.٧١٣ كغ» من الفضة فاستدان من زوجته ٣.٥ «١.٨ كغ» من الفضة من صداقها واستدان معها سوية ٢.٢ من «١.٢٦ كغ» من الفضة أيضاً من ذلك الصيرفي نفسه وبهذه الطريقة اشترى مار - بيتي - ادو - ناباتو البيت الثاني الذي بسببه نشأ الخلاف بينه وبين زوجته في عام ٥٥٢ ق.م.

ورفعت بونانيت الدعوى عليه بكمبيالة بـ٣.٥ من مَنْ الفضة التي لها على الزوج لاسترادادها وربحت الدعوى بالمحكمة وأجبر مار - بيتي - ناتانو - ادو على التنازل عن حقه في البيت المتنازع عليه.

وفي الوقت نفسه ألزمت المحكمة بونانيت وزوجها معاً بدفع ٢.٥ من من الفضة التي هي دين للصيرفي. وهكذا تتصرف ربات البيوت البابليات عندما يحاول الأزواج الاستيلاء على ما يعود إليهن من الأموال وهذا بدوره يعتبر شيئاً جيداً.

أ- الاستيراث: هو أن يؤول ميراث ما إلى الدولة لعدم وجود وارث - حق الاستيراث - المترجم.

ولم تعكر الدعوى إطلاقاً الوئام في أسرة مار - بيتي - ادو - ناتانو وكان عند القرينين ابنة اسمها نوبتا ولكن لم يكن عندهما ابناً.

وفي عام ٥٥١ ق.م تبنيا طفلاً سموه مار - بيتي - ادو - امارو وسرعان ما مات الزوج بعد ذلك واشترت أرملته والولد المتبنى سوية البيت الثالث ومرة أخرى بواسطة القرض المصرفي.

وفي عام ٥٤٧ ق.م ربحت دعوى في المحكمة مع أخ الزوج المتوفى الذي حاول أن يسحب منها ملكية الأخير كونها استيراثاً فأقر القاضي وثيقة تبني مار - بيتي - ادو - امارو ومساهمة بونانيت في امتلاك الممتلكات المتنازع عليها: وظل حق الملكية لهذه الممتلكات إلى بونانيت ومار - بيتي - ادو - امادو والابنة نوبتا.[10]

هكذا كانت ربة البيت القوية العزم اينا - إيساجيلي - رامات ابنة زيري نجل ناباي زوجة الصيرفي إدين - مردوك الذي تكلمنا عنه سابقاً حيث أثرى الزوج بفضل مساعدتها ولكن أثناء ذلك لم تنسَ إينا - إيساجيلي - رامات نفسها فالزوج كان يدفع لها بانتظام الديون والفوائد لأنها احتفظت بأموالها بشكل منفصل وحتى ليس في مصرفه وإنما في مصرف صهره إيتي - مردوك - بالات رأس عائلة إكيبي، وكانت عائلة عبيد إينا - إيساجيلي - رامات «المعروف منهم ٢١ بالأسماء» أيضاً منفصلة عن عائلة عبيد إدين - مردوك «المعروف منهم ٩٣ عبداً من قوامها ولم يجرؤ إدين - مردوك أن يفكر بالتطاول على ممتلكات الزوجة.

ولأجل ذلك لم تختلف هواجس إينا - إيساجيلي - رامات عن ذلك وكونها أصغر بكثير من الزوج انقادت له وعندما تقدم بالسن حولت مع الصهر إيتي - مردوك - بالات كل ممتلكاته إلى يدها وأدارت بنفسها كل أعماله. لقد كانت حيزبوناً «وردت خنزيرة برية بالنص» بابلية حقيقية قوية العزم ومتسلطة وظالمة.

وتوفي إدين - مردوك في عام ٥٢٥ ق.م عن عمر يناهز ٩٥ عاماً وفي عام ٥٢٢ ق.م توفي إيتي - مردوك - بالات ولم تتفاهم الحيزبون البابلية مع أبنائه وأحفاده، ولم يسمح لها مردوك - ناصر - إبلي الابن الأكبر بينهم بالتصرف في بيت إكيبي وتحول النفور بين الجدة والحفيد إلى فضيحة عامة وكان الداعي لهذه الفضيحة هو وراثة العبد نرجال - ريتسوا.

فنرجال - ريتسوا المعروف مجرى حياته من عام «٥٥٤-٥٢٥ ق.م» من الوثائق التي ظلت بحالة سليمة، كان عبداً من ملكية إينا - إيساجيلي - رامات وصار وكيلاً لزوجها إدين - مردوك وعمل العبد باحتكار «الشراء بالجملة» الثوم والشعير والتمر من ملاكي الأراضي من قرية آخي - إدين التي تكلمنا عنها سابقاً وبمساعدة إدين - مردوك ابتز الميديونين وأثرى نرجال - ريتسوا وصنع إدارته ومارس المراباة وحتى افتتح مكتبه المصرفي مستلماً ومسلماً الودائع من العبيد والأحرار. وفي عام ٥٣٣ ق.م بعد موت مردوك - راماني الوحيد لسيديه أهدي نرجال - ريتسوا إلى نرجال - أوشيزيب الابن الأصغر لـ إيتي - مردوك - بالات ونوبتا ابنة إدين - مردوك وإينا - إيساجيلي -

رامات. ومنذ ذلك الوقت صار بخدمة سيدين: إدين - مردوك زوج سيدته السابقة وغيتي - مردوك - بالات والد سيده الجديد.

وامتلك نرجال - ريتسوا بيتاً وأرضاً وأدار عمليات مالية ضخمة وقدم له رجال الأعمال البابليين عن طيب خاطر قرضاً بمبلغ ضخم لقاء كمبيالة بسيطة دون طلب أي رهن ولا أي ضمانة: ووثقوا بكلمته وقدرته على إيفاء الدين دون قيد أو شرط. ومثل هذه السمعة التي لا شائبة فيها لم يحظ حتى سيده بها وكان معروفاً عند جميع الأغنياء البابليين والمصرفيين إدين - مردوك وإكيبي. وتوفي نرجال ريتسوا في عام ٥٢٥ ق.م وصارت ممتلكاته مع البيت في بابل في شارع خوبور التي استولى عليها في عام ٥٢٩ ق.م من المدينين ملكاً لسيده الشرعي نرجال - أوشيزيب أصغر أنجال أسرة إكيبي.

وفي عام ٥٠٨ ق.م تقاسم مردوك - ناصر - أبلي - ونابو - آخي - بولات ونرجال - أوشيزيب الميراث الأبوي وعند ذلك كان البيت في شارع خوبور من نصيب مردوك - ناصر - ابلي الأخ الأكبر. ولم تستطع العجوز إينا - إيساجيلي - رامات أن تتحمل ذلك واعتبرت أن مثل هذه القسمة هي رفض نرجال - أوشيزيب لهديتها من العبد نرجال - ريتسوا المتوفى منذ زمن طويل والتخلي عن ملكيته وعلى هذا الأساس رفعت دعوى على البيت في شارع خوبور طالما الحفيد رفض التخلي عن الهدية والهدية يجب أن تعود إليها.

ومن الناحية القانونية كانت اينا - إيساجيلي - رامات على حق ومردوك - ناصر - أبلي كف عن النزاع معها، وبدلاً من ذلك برهن في المحكمة على مشاركته لنرجال - أوشيزيب بأن ذلك لم يكن رفضاً للتنازل عن البيت وإنما تبادله معه مقابل تعويض مناسب أثناء تقاسم الممتلكات العائلية وفي عام ٥٠٧ ق.م رفض القاضي دعوى إينا - إيساجيلي - رامات.[12]

أما نوبتا ابنة إينا - إيساجيلي - رامات كانت أيضاً عروساً ثرية ولكن لم تتمتع بشخصية مثل والدتها. ولم تستطع معارضة زوجها إيتي - مردوك - بالات رأس عائلة إكيبي وتصرف هذا بملكيتها وكأنها خاصته دون الأخذ بالحسبان أي قوانين حقوقية.

وبهذا الشكل لم يتوقف الوضع الحقيقي للنساء في الأسرة والمجتمع بهذه الدرجة على حقها الشرعي وإنما على شخصيتها وشخصية زوجها والعلاقات المتبادلة الموجودة بين القرينين.

والعلاقة بين الوالدين والأولاد كالعلاقة بين الزوجين تقوم إلى درجة كبيرة على أساس مادي وحتى عهد البلبلة فقد الوالدان السلطة الأبوية على الأبناء البالغين ولكن بقي لديهم وسيلة تأثير قوية على الأبناء وهي - الميراث.

ولعب الحق الوراثي دوراً مهماً جداً ليس فقط في الحياة الخاصة وإنما في الحياة الاجتماعية للبابليين أيضاً.

رؤوس فتيات بابليات

وتحدثنا فيما سبق عن تطور التفاوت المادي وتدمير الجنسية البابلية وأدرك المجتمع على نحو جيد جداً هذه الخطورة واتخذ التدابير للصراع معها، وكان أحد تلك التدابير هو تنظيم حق الوراثة فورثة الأب وفقاً للقانون أو العرف غير المكتوب الذي له قوة القانون يعتبر فقط الأبناء «الذكور» الثلاثة الكبار: وهكذا نابو - آخي - إدين رأس عائلة إكيبي كان عنده لا أقل من سبعة أبناء ولكن في الوثائق الرسمية سمي والداً فقط للثلاثة الكبار إيتي - مردوك - بالات وإدين - نابو ونرجال - إيتر الذين اعتبروا ورثة له.[13]

وتم تقسيم الميراث على النحو التالي: يأخذ الابن الأكبر النصف له ويعطي النصف الآخر للأخين الأصغرين، أخويه الذين بدورهما يقسمونه بالتساوي فيما بينهما، وإذا كان الأبناء الورثة فقط اثنان فيحصل الابن الأكبر على الثلثين والأصغر على ثلث ممتلكات الوالد، وبقية الأبناء ليس لهم حصة في الميراث ويأخذون فقط ما يرى الأب أو الأخوة الكبار من الضروري إعطاءهم والبنات في حال وجود بنين ليس لهن حق في الميراث ويستلمن فقط الصداق والهدايا التي يقدمها الوالدان أو الأخوة وتصبح الزوجة وارثة فقط في حال عدم وجود ورثة ذكور.

ويكون الميراث قبل القسمة ملكية مشتركة بين الأخوة المشاركين في الميراث وعند ذلك يعتبر المؤهل الوحيد بينهم هو الأخ الأكبر وإذا توفي واحد من الأخوة قبل القسمة يتحول حقه بالوراثة إلى الأبناء وفي حال عدم وجودهم فإلى الأخوة الباقين على قيد الحياة، وعند ذلك لا يستطيع الكبير أن يرث الأصغر إذا كان على قيد الحياة أخ آخر أصغر أو أولاده. ولكن بعد اقتسام الميراث يصبح كل من الأخوة مالكاً مستقلاً ويمكن أن يورث أخاً آخر فقط في حال لم يكن عنده أبناء أو بنات.

والهدف من مثل هذا النظام الوراثي واضح: وهو الحيلولة دون التفتت السريع للملكية وبخاصة للأرض والبيوت والعبيد وهذا بذاته يعيق تجزئة ملكية المواطن. وإلى جانب ذلك وجد نظام التوصية الذي يسمح للمالك بتعديل نظام الوراثة لصالح هذا الوريث أو ذاك واستفادت النساء من هذا النظام بالدرجة الأولى.

ولعب الميراث والوصية دوراً مهماً جداً في حياة البابلي فعلى هذين النظامين توقف إنتاج أجيال جديدة من المواطنين للقيام بواجبات المواطنة وبالتالي تعداد وتماسك كل الجنسية.

وعلاوة على ذلك كانوا باستمرار مرتبطين ارتباطاً وثيقاً ببعض المفاهيم الدينية البابلية فالبابليون كالساميين الآخرين القدماء لم يعرفوا لا الجنة ولا جهنم، وتصوروا جهنم بشكل عالم بشعٍ جداً من الأشباح حيث طعام الموتى هو الجثث والطين.

وحسب تصور البابلي يستمر الإنسان حياً ليس في الآخرة «الحياة الآخرة» وإنما في ذريته وفي البذور «يقصد الأولاد» ومنتهى الشقاء عند البابلي هو الحرمان من الأولاد، فالابن والحفيد كانا الاستمرار المباشر لحياة الإنسان وعليهم وقع الاهتمام بالأجداد الموتى.

وكان البابليون يدفنون الموتى عادة بالقرب من بيوتهم حيث يودعونهم في توابيت من الطين ويوارونهم الثرى في الفناء أو مباشرة تحت أرضية البيت الطينية، والناس الأكثر يسراً يبنون أضرحة يدفنون فيها جميع أفراد العائلة المتوفين ولم يضعوا أي نصب تذكارية على القبور. والبيت المتهدم يبنون في مكانه بيتاً جديداً وهكذا من جيل إلى جيل يبقى الموتى مع الأحياء وعلى عاتق الأحياء الاهتمام بهم. ويحتفلون بطعام جنائزي[أ] ويصبون الماء على القبور حتى يستطيع الأجداد الموتى أن يشبعوا جوعهم ويطفئوا عطشهم في الآخرة. وخلافاً لذلك بحسب معتقدات البابليين تستطيع روح الميت «بالبابلية إيتي - مو» أن تغادر العالم السفلي وتحمل الكثير من المصائب للأحياء ولذلك هكذا حرص البابليون على المكان الذي تقوم عليه بيوتهم.

ولكن رعاية الوالدين المتقدمين بالسن وبأرواحهم بعد الوفاة توقفت كلياً على الميراث الذي يتركونه لأولادهم، فإذا لم يكن هناك ميراث فالأولاد محررون من الواجبات بالنسبة للوالدين وإدين - مردوك الذي تكلمنا عنه أكثر من مرة سابقاً لم يحصل على أي ميراث من والده إكيشي ابن كودورو نجل نور - سين ولكنه عامل والده معاملة لا بأس بها وصار إنساناً غنياً وساعده أكثر من مرة وسدد ديونه وما من أحد استطاع أن يلوم إدين - مردوك بجفاء على الرغم من أنه ليس عليه أي واجبات بالنسبة للأب.

أ- لقمة رحمة - أو وقعة كما يسميها البعض في هذه الأيام - المترجم

ولما شاخ إكيشي والده اعتق عبده الوحيد راماني - بعل وأعطاه بهذه الحالة اسماً جديداً هو ريموت ووقع على عاتق المعتق مسؤولية تقديم الغذاء والأدهان / المروخ/ واللباس إلى سيده القديم إلى نهاية أيامه، وهذا يعني إعالة السيد. ولكن منذ أن نال ريموت الحرية وهو الآن رامانين - بعل اختفى وصار الشيخ من دون وسيلة للعيش، إلا أنه لم يدر بخاطره أن يلجأ إلى مساعدة ولده الغني، وذاك أيضاً لم يدر بخاطره أن يأخذ والده الشيخ على عاتقه، وأنقذت الكنة إينا - إيساجيل - رامات زوجة إدين - مردوك حموها إكيشي وهي وليس زوجها التي تعهدت طوعاً بإطعام وإكساء حموها المعدم، وبعد مضي بعض الوقت قبضوا على ريموت المعتق الغادر ولأجل النكوث بواجباته بالنسبة لسيده السابق أعيد من جديد إلى العبودية باسمه القديم رامانين - بعل وشق اكيشي وثيقة إخلاء سبيله وفي ٢٤ أيار عام ٥٤٣ ق.م أهدى هذا العبد إلى كنته وابنتها نوبتا ولم توجه أي كلمة لوم أو عتب بعد هذا إلى إدين - مردوك لأن ذلك لم يخرج بشيء عن قواعد سلوك ذلك المجتمع الذي عاش فيه هو ووالده.

وهكذا بدا الواجب البنوي بالبابلي[أ](14). وفي حالة عدم وجود البنين لجأ البابليون إلى التبني وكان الأولاد المتبنون مساوين للأبناء الأصليين في جميع النواحي، واتخذوا في بعض الحالات اسم وكنية الأب المتبني، وهكذا تبنى نابو - آخي - إدين ابن شولي نجل إكيبي وربى كالبا ابن شخص يدعى شوم - أوكي - نا وجرى التبني رسمياً في ١٧ تشرن الثاني عام ٥٤٦ ق.م في الوقت الذي كان فيه كالبا بالغاً ودُعي ابناً لنابو - آخي - إدين نجل إكيبي.(15)

وفي بعض حالات تبني الأولاد يحافظ فيها على اسم وكنية الوالدين الأصليين «الحقيقيين» ولا يعفون من الواجبات تجاههما. ولكن في الوقت نفسه يصبحون ورثة للأب والأم المتبنيين، ويأخذون على عاتقهم جميع الواجبات المرتبطة بالميراث الذي نالوه تجاههما. وعملياً تقوم هذه العلاقات على أساس التعامل الشريف.

تبنى جميللو ابن مردوك - زير - إبنِ: نجل الحداد ابن أخيه إدين - نابو ابن نابو - باني - زيري نجل الحداد الذي أبقى على كنية أبيه وأوصى له بكل ممتلكاته بما فيها الكمبيالات والبيوت وحصة الوقف. في نحو عام ٥٢٥ ق.م توفي جميللو وأعال إدين - نابو أرملته لبعض الوقت، ولكنه في ٩ تشرين الثاني من عام ٥٢٥

أ- أي بالمفهوم والواقع البابليين - المترجم

ق.م أعفى نفسه من هذا الواجب بالمال، وعند ذلك لم يخجل من طرد الأرملة من بيت المتوفى سامحاً لها أن تأخذ فقط فراشاً وكرسياً وطاولة ومجمرة[أ] نحاسية وكاساً تعود جميعها لزوجها. ومن وجهة النظر البابلية أيضاً لم يكن تصرف إدين - نابو تصرفاً أخلاقياً وتاباشرو - «اسم الأرملة» لم يكن لها عليه أي إدعاءات.[16]

وللقصة التالية أهمية كبيرة لفهم حقوق ونفسية وآداب سلوك المجتمع البابلي التي يمكن أن نسميها خبراً عن زوجين منقطعي الذرية «أبترين» مع أنها معروضة في وثائق العمل من أرشيف عائلة إكيبي وليس في المؤلفات الأدبية: - في مدينة خورساغ - كالامي عاش آردي - غولا وزوجته دامكا. أناس ليسوا أغنياء ولكنهم وقورون ومحترمون تزوجا في عام ٥٧٧ ق.م وعاشا في حب ووئام ٣٣ عاماً وكانا تعيسين جداً لأنهما لم يرزقا بأولاد ولم يستطيعا أن يتبنيا ولداً حراً لأنه لم يكن في حوزتهما الممتلكات الكافية لإعطائه الميراث المناسب. زد على ذلك في آخر حياتهما غاص الزوجان في الديون، وفي عام ٥٤٧ ق.م استدانا من شخص اسمه نابو - شوم - أوكين ٣.٥ من «١.١١٧ كغ» من الفضة بكفالة شخص يدعى بعل - رامانين ولقاء رهن جميع عبيدهم: الجارية آنا - ناشميتوم - أتكال وابنها زابابا - إدين وابنتاها آمتى - انليل «آمتي» ونانا - انا - بينيشو، وفي عام ٥٤٤ ق.م توفي آردي - غول ودامكا «السيدة» التي لم تعد صغيرة بالسن فقدت الأمل نهائياً بأن يكون لها أولاد سيهتمون فيما بعد بزوجها الميت وبها نفسها وبعد موتها؟ وجدت السيدة مخرجاً في ٢٣ أيلول من عام ٥٤٤ ق.م وتبنت عبديها آمتي الجميلة وأخاها زابابا - إدين وسرعان ما توفيت بعد ذلك بقليل.

ولكن الصيرفي نابو - شوم - أوكين الذي بقي الزوجان المتوفيان مدينين له بـ ٣ من و٥٠ شاقل «نحو ٢ كغ» من الفضة قلق لمصير أمواله التي لم يبق مدين له بها أحد حياً في هذه الدنيا فاسترد ديونه بواسطة المحكمة من الكفيل بعل - رامانين مسلماً له الكمبيالات لقاء ذلك.

ولما تأكد بعل - رامانين أن ميراث المتوفين لا يغطي خسائره سعى لإيجاد ورثتهم، وفي ١٠ كانون الثاني عام ٥٤٣ استدعى إلى المحكمة ابن أخ آردي - غول وأخت السيدة «الدامكا» ولكن أولئك رفضا الدخول في الميراث وأخذ ديون المتوفين على عاتقيهما، ووافق القاضي على ذلك وعرض على بعل - رامانين أن يقنع بميراث المتوفين الذي رهنوه وذلك يعني العبيد، ولكن الأخير اكتشف أن اثنين من العبيد وهما آمتيا وزابابا - إدين قد صارا بفضل التبني أحراراً، وتصادمت مصالح المصرفي مع

أ- كانون - المترجم

المواطنين البابليين الجديدين المعتقين فاتخذ القاضي جانب المصرفي[أ] وأبطلت وثائق التبني وأعيدت آمتيا وزابابا - إدين من جديد إلى العبودية وسلما إلى بعل - رامانين. من بين القضاة هناك الذين يتخذون مثل هذه القرارات القاسية ولكن لا عيب فيها من الناحية القانونية «السيدة لا تستطيع التصرف بمصير العبدين المرهونين من دون علم الصيرفي».

كان نابو - آخي - إدين رأس عائلة إكيبي وكان رجل الأعمال الغني هذا المخضرم هائماً بالأمة الصبية، ولم يدخر الأموال لامتلاك هذه الأمة «الجارية» التي تروق له، آمتي التي لم تغب عن باله فأمر ابنه الكبير إيتي - مردوك - بالات بشرائها وشراء أقربائها من بعل رامانين الذي لم تفته الفرصة في أن يعوض خسارته بدهاء.

وفي ٣١ كانون الثاني وهذا يعني قبل أسبوعين على قرار القاضي النهائي حول مصير العبيد اشترى وكيل عائلة إكيبي آمتي من بعل ر امانين بـ ١ من و١٠ شاقل «٥٨٩ غ» من الفضة أي بمرتين أعلى من السعر المألوف[ب] وفي ١٦ شباط من عام ٥٤٣ ق.م سوى إيتي - مردوك - بالات حساب العبيد نهائياً مع بعل - رامانين.

وكان يأس آمتي عظيماً فهي ما إن «بالكاد» نالت الحرية والجنسية حتى عادت من جديدة أمةً غرضاً متاعاً لشهوة الشيخ الداعر، وحاولت الفتاة المقاومة فنكل بها نابو - آخي - إدين الساخط بأخس طريقة ممكنة فهو لم يُغرِها على الزنى فحسب بل أجبرها على أن تكون بائعة هوى في الشوارع.

وأُجِّرت آمتي لقاء ٣ سوتو «١٥ ليتراً» من الشعير في اليوم وهكذا في ١٨ آذار من عام ٥٤٣ ق.م أُجِّرت «للترفيه» عن الشاب البابلي نور - سين ومكثت عنده خمسة أيام، وللمزيد لم يكن عند الشاب ما يكفي من المال لأن «الماما» قطعت عنه الإعانات فيما بعد لمثل هذا النوع من التسلية.

وفي ١٣ آذار من عام ٥٤٣ ق.م وجدت آمتي نفسها عند محب آخر للترفيه وهو الطاووس نابو - آخي - إدين الذي انتزع من آمتي الأمل وإلى الأبد في الحرية مجبراً إياها على ممارسة المهنة المعيبة عند البابليات، فالبابلية تستطيع ودون أن يلحق أي مساس بشرفها أن تكون عبدة زانية في خدمة المعبد ولكن بائعة الهوى في الشوارع لا يمكن تحت أي ظرف من الظروف أن تكون حرة.

وهكذا استمرت الحال حتى أيلول من عام ٥٤٣ ق.م عندما مات نابو - آخي - إدين ولم يوافق ابنه إيتي - مردوك - بالات السيد الشرعي لـ آمتي في قرارة نفسه على سلوك الأب الذي القى بظله على سمعة العائلة، ولم يجرؤ على مخالفته طالما كان حياً. ولكنه الآن خلص آمتيا «آمتي» من مهنتها وسعى عموماً إلى التخلص

أ- كالعادة - المترجم

ب- يرجى الانتباه للتعليق أعلاه - والمؤلف يتحدث عن نزاهة القاضي - المترجم

منها، وفي ٩ أيار من عام ق.م أعطى إيتي - مردوك - بالات العبدة في الصداق لأخته كيبي توم - كيشات.[17]

ووقعت آمتيا ضحية لقسوة مالك العبيد القاسي القلب ولكن العبيد لم يكونوا دوماً فقط ضحايا، فهم عاشوا بين البابليين وتعلموا منهم الثأر بقسوة بلا هوادة.

فالعبد نابو - أوتيري ظهر منذ الشباب فذاً ورجل أعمال موهوب ولكن سيده بعل - آخي - ريب ابن بعل - أوشيزيب نجل دابيبي وكاشا ابنه بعل إكيشي استطاعا فقط على الاستدانة ولم يسمحا له بالتطور برهنه دوماً عند مداينيهما، إلا أن نابو - أوتيري ساعده الحظ فقد تنبه له وقدّره نابو - آخي - إدين رأس عائلة إكيبي واشتراه في عام ٥٤٥ ق.م من سادته ومداينيهم ودفع لقاءه بالجملة نحو ٢ مَن «١ كغ» من الفضة وهذا يعني بسعر مضاعف، ونابو - أوتيري يستحق ذلك، وفي سنة ٥٤٥ ق.م نفسها اشترى الاكيبيون الجارية الفاتنة الذكية ميزاتوم فسيدها السابق نابو - أريش ابن تابنيا نجل آخو - باني تورط في الاستدانة واشترى الاكيبيون منه في فترة قصيرة ١٣ عبداً بمن فيهم ميزاتوم وسرعان ما قدمت ميزاتوم زوجة لـ نابو - أوتيري وصارت نصيراً مخلصاً لزوجها في كل الأمور.

ومارس نابو - أوتيري وميزاتوم المراباة وشراء المحاصيل من الملاكين الصغار ولكن الإيرادات الرئيسة جاءتهم من العمل بالمسكرات وأنشؤوا شركة لتصنيع وتسويق المشروبات الروحية وكانت مطاعمهم ليست فقط في بابل ولكن في ضاحيتها الراقية بيت - شار - بابيلي وفي عام «٥٤٣-٥٤٢ ق.م» بعد الحساب مع شركائهم وتغطية نفقات أعمالهم كسب الزوجان نحو ٣ منّات «١.٥١٥ كغ» من الفضة ربحاً صافياً باستثناء مخزوناتهم من النبيذ «السكير» والتجهيزات والمفروشات، وعلاوة على ذلك قام نابو - أوتيري بالاتجار بالجملة واستأجر لهذا الغرض سفينة مع بحارتها وكانوا العبيد الخاصين به ويمكن أن نحكم على مقادير إيراداته من الحساب الذي أجراه في ١٨ أيار من عام ٥٤١ ق.م مع سيده غيتي - مردوك - بالات:

قدم العبد خلال العام والنصف المنصرمين «براني» بالجملة ٥.٥ من «٢.٨ كغ» من الفضة منها ٥٩ شاقل «٤٩٦.٦ غ» أعطاها للسيد وزيادة على ذلك دفع له أيضاً ١٢ شاقل «١٠١ غ» من الفضة جزية عن ميزاتوم.

وعند التعرف على السيرة الذاتية للعبد نابو - أوتيري تلوح خفية من ورائه شخصية هوبسيك البلزاكي[أ] بالقسوة نفسها التي عند ذاك تجاه المدينين والكراهية

أ- اونوريه دي بلزاك كاتب وروائي فرنسي كبير من القرن التاسع عشر ١٧٩٩-١٨٥٠ م - المترجم.

العنيفة للسادة المتعطلين مسببي الكثير من الأحزان له ولزوجته ميزاتوم، وطالما صاروا غير مرتبطين بأسرة إكيشي أصبح نابو - اريش السيد السابق لـ ميزاتوم موضع هذه الكراهية، وترصده نابو - أوتيري خلال ١٥ عاماً من ٥٤٥ إلى ٥٣٠ ق.م وفي النهاية انتقم لزوجته منه بطريقة بابلية بحتة مضيفاً إليها من ذاته الكياسة الهوبسيكية ومتذرعاً بالصعوبات المالية لـ نابو - اريش قدم له قرضاً بكفالة الأرض، ولم يستطع نابو - اريش إيفاء الدين وفقد الأرض، ولكن نابو - أوتيري لم يكتفِ بذلك: كان يجب إفقار نابو - اريش وإجباره على أن يتحمل بنفسه نصيب العبد البابلي، المعدم ولما عرف أن نابو - اريش يحاول الوقوف على قدميه مغامراً بعملية مراباة ورهن أرض أحد البابليين استولى نابو - أوتيري على الرهن وأعطاه لسيده إيتي - مردوك - بالات الذي لاحظ بارتياح كيف أجهز عبده على مواطن وأفلس - نابو - اريش حتى القرش الأخير وهكذا كانوا ينتقمون في زمن البلبلة البابلية.[18]

ولا يفسر سلوك إيتي - مردوك - بالات لأن الأرض انتزعت من نابو - اريش وأعطيت له فنابو - أوتيري توفي في عام ٥٣٠ ق.م وذهبت ممتلكاته إلى السيد وإنما كان للاهتمام الشخصي الضلع في ذلك لأن الأمة ميزاتوم زوجة نابو - أوتيري وهي الآن الأرملة التي اتفق أن صارت الشخص الفعال في الحكاية الفاضحة التي جرت في عائلة إكيبي. هذه الحكاية التي تماثل إلى حد كبير واحداً من مجرى المدارات في مسرحية «العاصفة» لـ أ. ن. استروفسكي وبخاصة الرفض المتعنت للتاجر القاسي لإعطاء ابن أخيه بوريس غريغوريفيتش نصيبه من الأملاك.

وكما تحدثنا سابقاً توفي نابو - آخي - إدين رأس عائلة إكيبي في عام ٥٤٣ ق.م وأخذ مكانه إيتي - مردوك - بالات بصفته الابن الأكبر ووجد الابنان الأصغران الوريثان إدين - نابو ونرجال - إيتير نفسيهما في تبعية تامة لإحساناته التي لم تكن قطعاً سخية، واستجاب إيتي - مردوك - بالات لمطالب الأخوة القانونية لتقاسم الميراث بدقة مثل سامدور الطاغية بالنسبة لإدعاءات ابن أخيه المماثلة، ولكن أخوته لم يكونوا ضعيفي الإرادة ومستكينين مثل بوريس غريغوريفيتش إلا أنهما لما تأكدا أنهما لن ينالا بالحسنى شيئاً من الأخ الأكبر ألّفا - إدين - نابو ونرجال - إيتر عليه جملة من النكات الساخرة التي حملت بابل بأكملها على الإغراب في الضحك.

وفي ذات يوم من عام ٥٣٥ ق.م تواطأ إدين - نابو مع نرجال - إيتير على القيام من دون علم إيتي - مردوك - بالات بقرض ضخم من ابن الملك الفارسي قمبيز برهن بيت في المدينة وكان شهود الصفقة الجيران الذين يعرفون جيداً العلاقة بين الأخوة إكيبي.

وأعطت كوداشو والدة الأخوة والمالكة الشرعية للبيت المرهون والتي تعرف بشكل ممتاز موقفها من الابن الكبير هذا موافقتها على الرهن. وكان على بينة من

الأمر كابي - ايلاني - شارو اوتسور ساقي «أي كبير خدم» ابن الملك قمبيز الذي قام بالإجراءات القانونية للقرض.

وكان جميع الذين شاركوا في الصفقة ليسوا بمعزل عن الإساءة للطاغية البابلي، وحبسوا أنفاسهم منتظرين التطور التالي للأحداث، ولا سيما أن الصفقة القانونية كانت لا غبار عليها، ولكي تكتمل فرحتهم انطلت الحيلة على إيتي - مردوك - بالات: ومع مداين كهذا مثل ابن الملك قمبيز لم يتجرأ على المشاغبة واضطر إلى دفع دين الأخوة وامتلك البيت وفي عام ٥٢٧ ق.م نفذ إدين - نابو حيلة جديدة منتهزاً فرصة غياب إيتي - مردوك - بالات وخطف عشيقته ميزاتوم أرملة العبد نابو - أوتيري وباعها في مدينة أوبيس البعيدة، وأثناء ذلك ادعى إدين - نابو أنه إيتي - مردوك - بالات لأن جميع وثائق ميزاتوم كانت موضوعة باسم الأخير وبطبيعة الحال انكشفت الخدعة بسرعة وأرغى إيتي - مردوك - بالات وأزبد غيظاً وضحكت بابل كلها عليه وأعاد الأمة ولكنه اضطر من جديد أن يدفع لأخيه الذي لم يكن عنده أموال خاصة به.

وفيما يتعلق بميزاتوم فقد أحيطت بعناية السيد وأولاده وأصبحت طاعنة في السن وفي عام ٥٠٨ ق.م عند اقتسام ميراث عائلة إكيبي صارت من نصيب مردوك - ناصر - ابلي الابن الأكبر لـ ايتي - مردوك - بالات. وظل الطاغية البابلي ثابتاً أيضاً وبغض النظر عن خدع الأخوة لم يتقاسم معهم الميراث وحصلوا منه فقط على نصيب الإعاشة وخدمات العبيد الشخصية.

وفي نهاية عام ٥٢٢ ق.م توفي إيتي - مردوك - بالات وإدين - نابو في أثناء سحق الفرس للانتفاضة في بابل. وانتقلت حقوق إدين - نابو إلى أخيه الأصغر نرجال - إيتر الذي أجبر أبناء أخيه إيتي - مردوك - بالات في عام ٥١٩ ق.م على إعطائه نصف الميراث المستحق له «له ولـ إدين - نابو» وتناول التقسيم أثناء ذلك الضيعة العائلية لأسرة إكيبي على القناة الجديدة بالقرب من بابل.

إلا أن تقسيم الميراث لم يحمل لنرجال - إيتير السعادة فحياته تكدرت كلياً لسنوات عديدة بالصراع المستمر من أجل الميراث، ولما استلم ميراثه تزوج بابنة عمه سوكائيتي ابنة ايتي - نابو - بالات نجل إكيبي ولكنهما لم ينجبا إلا البنات وبذر نرجال - إيتير المفعم باليأس خلال مدة قصيرة كل ممتلكاته وتورط في الديون وتوفي في عام ٥١٢ ق.م تاركاً الأرملة والبنات، والتجأت سوكائيتي التي أصبحت بحالة لا يمكنها بها دفع ديون زوجها إلى مساعدة ابن عمها الكبير مردوك - ناصر - ابلي رأس عائلة إكيبي فتبادل معها الأخير نصف ضيعة عائلة إكيبي على القناة الجديدة الذي أخذه نرجال إيتير في عام ٥١٩ ق.م بضيعة كبيرة في دلباتي البعيدة وكتعويض دفع ديون العم المتوفى.[19]

وارتبطت باسم مردوك - ناصر - ابلي قصة أخرى عادية بالنسبة لأخلاق وعادات البابليين - قصة الأب البابلي غوريو الذي سموه كالبي ابن تسيلي نجل ناباتي، فقد كان لزمن طويل وكيلاً لـ إيتي - مردوك - بالات ومارس أنواعاً متعددة

من المضاربات وكون ثروة شخصية كبيرة إلى حد ما، وبعد وفاة إيتي - مردوك - بالات تزوج ابنه الكبير مردوك - ناصر - ابلي في عام ٥٢١ ق.م بـ آمتي بابي ابنة كالبي ولم يتمالك كالبي العجوز نفسه من الفرح وأعطى القسم الأكبر من ثروته التي حصلها بالتعب صداقاً لابنته لكي لا تنتسب بخجل كربة منزل إلى بيت إكيبي الغني، وعند ذلك حرم كالبي ابنه وهذا يعني أنه حكم على نفسه بمشاركة الروح الجوالة «إيميتو».

ولكن يبدو أن ذلك لا يكفي للصهر والابنة، وابتز مردوك - ناصر - ابلي وأخوه نابو - آخي بوليت كالبي بلا ضمير واقرضاه الأموال وأجبراه على بيع بقايا الأرض والعبيد والممتلكات الأخرى، فكلاهما عرفا جيداً أن تسليم النقود بهذه الطريقة إلى كالبي سيصرفها على ابنته المحبوبة وتبخترت آمتي - بابا بالمجوهرات وأما والدها فقد سلب كلياً ومات في عام ٥٠٩ ق.م معدماً.؟

وإذا كانت آمتي - بابا ابنة سيئة بالطبع من وجهة نظرنا وليس من وجهة نظر البابليين - فإن ذلك لم يمنعها من أن تكون زوجة رائعة، وزواجها بمردوك - ناصر - ابلي تم بالحب وعاشا في وئام تام. وفي عام ٥٠٦ ق.م وقع مردوك في وضع عسير عندئذٍ قدمت له آمتي - بابا بلا تردد صداقها - الذهب والمال والأساور وحتى باعت عبيدها الشخصيين، وكتعويض عن ذلك حول الزوج لاسمها واحدة من ضياعه وتسعة عبيد - عبده المدير دايان - بعل - أوتسور مع أسرته، والحقيقة إن هذا التعويض كان أقل قيمة من الصداق ولا سيما أن آمتي - بابا لما رأت أن وضع زوجها صار عسيراً اتجهت إلى ضحية جديدة فقد باعت دايان - بعل - اوتسور وعائلته بـ ٢٤ مَن «١٢.١ كغ» من الفضة.

ولكن في هذا الوقت بالضبط استطاع مردوك - ناصر - أبلي الحصول على قرض مقداره ٤٥ مَن «٢٤.٦ كغ» من الفضة واستطاعت آمتي - بابا فسخ «إبطال» بيع العبيد دايان - بعل - اوتسور غير المربح لها وهكذا ظل يدير أملاك أسرة إكيبي في منطقة شاخارين.[20]

مرت أمامنا سلسلة كاملة من البابليين والعبيد أبناء عهد البلبلة وهذه النماذج ليست ثمار إبداع أدبي. نماذج لا تعمم على كل العهود التي تتركز فيها عمداً «عن قصد» الصفات المميزة، فهؤلاء أشخاص حقيقيون سجلوا أعمالهم وأفكارهم بأنفسهم في وثائق العمل وأقل ما فكروا به أثناء ذلك هو أن يتركوا للأجيال القادمة صورهم ويستظهروا أمام أحفادهم. ولكنهم هم الذين فعلوا ذلك، ويحكم على الناس لا بأقوالهم وإنما بأفعالهم[أ] فقد وجدنا في الوثائق بالضبط تصويراً كاملاً منصفاً لحال البابليين: النفعية والطمع والأنانية الباردة الحذرة والقسوة وحب الانتقام وصفات النفس الإنسانية الخسيسة الأخرى تظهر مجسمة في تصرفاتهم اليومية، تظهر بصراحة

أ- بأفعالهم لا بأقوالهم - المترجم

قاسية وتركوا طابعهم حتى على تلك الخصائص كالجدية وحب العمل والدأب والفكاهة ورعاية الأقارب والمحبة والوفاء.

وليس مستغرباً أن أول ما تقع عليه أعين الغرباء من طبائع البابليين هو تلك الطبائع التي تعتبر سلبية، وبخاصة تلك التي توضح صورة بابل والبابليين المعروفة جيداً بفضل الكتاب المقدس.

ولكن هؤلاء البابليين صاروا على غير طبيعتهم فهؤلاء هم الذين صنعهم المجتمع الذي عاشوا فيه، ألم يكونوا أبناء الخلاعة البابلية!؟

obeikandl.com